أسلوب تدريس اللغة
عن طريق تنمية المفردات
بدلا من تدريس القواعد

ترجمة د. بشير محمد الشاوش

جامعة مصراتة

فيما يلي ترجمة للمقال الذي كتبه نك هاملتون Nick Hamilton في صحيفة الجارديان الأسبوعية بتاريخ 20 النوار 2003 ف.

- يعتقد نك هاملتون Nick Hamilton أن المتعلمين للغة يجب أن يبدأوا في بناء هذه اللغة من التعبيرات، وأما القواعد (النحو والصرف) فانها ستأتي فيما بعد بصورة تلقائية.(الجارديان الإسبوعية).

إن تسأل الناس ماذا يعني تعلّم اللغة ، الاجابة الأكثر احتمالا ستكون تعلّم مزيج من قواعد اللغة ومفرداتها . وهذا من البديهيات بالنسبة لكثير من الناس ، لانه لا توجد طريقة أخرى للنظر للموضوع. ويجب أن نعترف أن هذا الرأى له قدر من الجاذبية لاننا في النهاية كلنا نحتاج الي اطار معين نشتغل من خلاله. ومن الملفت للنظر إن عدد من المعلمين يقيّمون لغة طلبتهم على أساس صحة القواعد النحوية التي يستخدمونها فقط.

ان معظم الكتب المستعملة في تدريس اللغة الأنجليزية تتبع مناهج مبنية على القواعد النحوية ، وكنتيجة لذلك ، فان هذه المناهج تشجع استعمال الدروس المبنية على دراسة التركيبات النحوية لتوفير هذا الاطار اللغوي في التدريس – وهذا يبدو معقولا ، ولكن عند مراقبة الطلبة وهم يتعلمون لغة ما ، فان هذه النظرة لما يتم في تعلم اللغة ، يثير عددا من الأسئلة.

كيف يتمكن الطلبة تعلم التركيبات النحوية ومع ذلك يبقون عند مستوى ابتدائي أو ما دون المتوسط ؟ كل واحد منا ربما قابل طالبا يحفظ عن ظهر قلب استعمالات الزمن المضارع التام ومع ذلك يكون في الفصل منخفض المستوى. كيف يمكنك تعلم ومعرفة 101 فعل غير قياسي ومع ذلك تكون غير قادر على التخاطب مع الغير ؟ بصورة عامة ، لماذا تقول إن بعض الناس موهوبون في تعلم اللغات ، بينما يكون آخرون غير موهوبين ؟ ومع ذلك عندما ننظر الي الأماكن التي تتداخل فيها ثقافات لغات مختلفة ، فان هذا التميز (بين الموهوبين وغير الموهوبين) لا وجود له. أحد الطرق لبداية الاجابة على هذه الأسئلة هو النظر الي طريقتين مختلفتين جدا للمعرفة اللغوية : المعرفة حول اللغة ومعرفة كيفية استعمال اللغة. المعرفة حول اللغة تعني فهم كيف تعمل اللغة والقدرة على شرح هذه المعرفة.

كثير من المتعلمين للغة الانجليزية كلغة أم غير قادرين على القيام بهذا. ومن الناحية الأخرى فان معرفة كيفية استعمال لغة ما ، يعني ما يستطيع أن يقوم به أي متكلم ماهر للغة الانجليزية بغض النظر عما اذا كان هذا المتكلم قادرا على شرح ما يقوم به أم لا. إحدى المشاكل التي تنتج عن المبالغة في التركيز على تدريس التراكيب النحوية هى أن هذه المبالغة قد تقود بصورة سهلة الي النوع الأول من المعرفة على حساب النوع الثاني.

وإذا لم نكن حريصين ، فان الطلبة يمكن في النهاية أن يتعلموا القليل من اللغة يمكن اعتباره شيئا جديدا. ولذلك ما هو الشئ الذي يعرفه المتكلم الماهر للغة الثانية اذا لم يكن نحوا ؟.

كما أشار مرة الكاتب الساخر (مايلز كينجتون Miles Kington)إذا قمت بتدريس متكلم للغة الإنجليزية مستواه اللغوي منخفض الإجابة التالية " لا تبالي إذا فعلت " للسؤال " هل ترغب شرابا ؟، فانه سوف يعامل كلغوي ولو بصورة جزيئة حتى وإن كان ذلك التعبير الوحيد الذي يعرفه ذلك المتكلم. وطريقة أخرى للنظر إلى هذا النظام الذي تعتمد عليه اللغة هو أنه سيتكون من مجموعة من الكلمات المترابطة تقوم بوظيفة كلمة واحدة. تشكل هذه المجموعة المترابطة من الكلمات أو المفردات نوعين مختلفين : عبارات قصيرة وعبارات مترابطة (Collocations) أو تعبيرات ثابتة (غير متغيرة) وهى يمكن أن تكون تعبيرات كاملة أو شبه ثابتة ، يمكن أن نكملها بطرق مختلفة ، كلها تشترك في أنها يمكن أن تربط الكلمات بطريقة يمكن تصورها أو التنبؤ بها بصورة عالية. يبدو أننا غير مبدعين في استعمالنا للغة كما نحب أن نعتقد. إن المفردات هذه ، هي التي تعطينا المعرفة لكيفية استعمال لغة ما. وبصورة شاملة فإن التعبيرات المترابطة Collocations تعبّر عن الموضوع الذي نتكلم حوله (العائلة ، العمل ، السفر) بينما تعبّر أشباه الجمل والتعبيرات عن الوظيفة أو العمل الذي نريد اللغة أن تقوم به (الوصف، المناقشة، التنبؤ.....الخ) وذلك بتوفير إطار للحديث.

والمفردات باختلافها عن التراكيب النحوية ، فانها لاتتطلب من الطالب القيام بكثير من العمليات العقلية. وبعبارة أخرى فان الطالب يمكنه أن يقول شيئا ذا مغزى (أو معنى) باستعمال كلمات جديدة بطريقة لايستطيع القيام بها عندما يبذل مجهودا مضنيا من أجل تعلم تركيب لغوى جديد.

وبذلك فالإطار هنا له علاقة بالمفردات وليس النحو ، ولكن هذا لايعني أننا يجب أن نغفل النحو (أو القواعد). هذا الاطار ينظر الي النحو (أو القواعد) نظرة مختلفة، إحدى هذه الاختلافات التى يختلف بها هذا الاطار الجديد هو أنه يركز بصورة أكبر على الانماط النحوية أو التركيبات النحوية التي يمكن أن تأتي مع المفردات بدلا من التركيبات النحوية على مستوى الجمل : فهذا الاطار يتناول النحو على مستوى الجمل.

الاختلاف الآخر هو أن هذا الاطار يتناول عملية استعمال النحو باستعمال اللغة في النص ككل وهذا يرجعنا ، بصورة ساخرة ، الي الوصف التقليدى للقواعد بانها هي النحو وليس الصرف.

- والنتيجة التي نصل اليها حول التركيبات النحوية هى الآتي :

أن التركيبات النحوية في الحقيقة ، ليس لها وجود أو أنها موجودة ولكنها موجودة فقط كتعبيرات باستعمال المفردات، وبالنسبة لي فان اطار اللغة هو مفرداتها.

وما يدهشني هو أنه عند التدريس يمكن للطلبة ملاحظة النحو من خلال التعبير المكوّن من مفردات ولكنهم لا يستطيعون الوصول إلى أو فهم ذلك التعبير من خلال القاعدة النحوية

والنتائج للتدريس عديدة وهى :

- أولا: يتم بناء الدروس حول المواضيع بدلا من التراكيب النحوية وهذا يشمل استخدام نصوص ومهام مشوّ قة تركز على الاستعمالات المفيدة للغة.
- ثانيا: سيكون التركيز اللغوي في الدروس على المفردات كنقطة بداية والسماح للنحو بأن ينبثق من ذلك بصورة طبيعية.
- ثالثا: سيكون هناك تركيز على اعادة صياغة لغة الطالب بدلا من تصحيح الاخطاء النحوية التي تنتج من محاولة الطالب التعبير عن نفسه.

إن هذه الأخطاء النحوية في جميع الاحوال ستختفي بنفسها حين يحين الوقت ونقوم بتشجيع الطلبة على ملاحظة الهوة بين المدخل والمخرج.

والنتيجة التي يجب أن نحصل عليها من ذلك هى أن الطلبة يتعلمون لغة أكثر ويصبحون أكثر طلاقة وتصبح لغتهم صحيحة بصورة أكثر.

والأكثر أهمية هو أنهم يكونون قادرين على استعمال اللغة وليس فقط الحديث حول اللغة.

وعكس الاعتراض الشائع فانه لا يوجد سبب يجعل الاسلوب المعتمد على المفردات أكثر صعوبة للمدرس لأن تكون لغته الأولى اللغة الانجليزية.

فإذا نظرنا إلى اللغة من ناحية المفردات ، سوف نرى أن الكتب المنهجية مملوءة بالمفردات ولكن هذه الكتب لا تركّز عليها بالضرورة. فالاسلوب المفرداتي (المعتمد على المفردات) لا يتمتع بشرعية أكبر في استعمال اللغة من المنهج النحوي ، وكلنا نعرف أن المتكلمين الأصليين للغة لا يتقيدون بكثير من القواعد أو التراكيب النحوية. إن استعمال المفردات كإطار أو منهج للتدريس سوف يجعل اللغة أكثر سهولة للمتعلم.

نك هاملتون Nick Hamilton

(اشتغل كمعلم ومدرب للمعلمين في الدار العالمية – لندن لمدة 12 سنة).

ملاحظات المترجم:

- هذا المقال كتب أساسا حول استعمال المفردات والتعبيرات كإطار لتدريس اللغة الإنجليزية، بدلا من تدريس اللغة عن طريق تدريس القواعد النحوية مباشرة. وبما أن هذا يدور حول اللغة الإنجليزية فربما يقول قائل لا داعي لترجمة هذا المقال وأن المهتم بتدريس اللغة الإنجليزية الأولى له أن يقرأ المقال باللغة الإنجليزية ولكنني أقول أن سبب حرصي على ترجمة هذا المقال إلى اللغة العربية لأن الإطار التدريسي هذا ينطبق على اللغات الأخرى، ويمكن استعماله في تدريس اللغة العربية أيضا ومن هنا تأتي أهمية ترجمة المقال.
- عنوان المقال هو 'Waxing Lexical About Teaching' وهو يبدو غريبا بعض الشيء، وربما أراد به الكاتب لفت النظر، lexical waxing ربما تترجم ' تنمية المفردات ' و 'about teaching' حول التدريس ولذلك ترجمت العنوان بتصرف بناء على محتوى الموضوع.
- يسرني أن أشكر الأستاذ يوسف حسين بادي الذي قام بالمراجعة اللغوية لهذه الترجمة